بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة التاسعة والعشرون:
آداب الخصومة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

ومازال الحلم محموداً، وهو من صفات الأنبياء، قال الله تبارك وتعالى عن سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّوبة:114].

- قال رسول الله ﷺ: **«اَلْعَجَلَةُ مِنَ اَلشَّيْطَانِ»**[1].

الإسلام دين مثالي واقعي، فهو يدعو إلى ترك الخصومات وعدم إحداثها أصلاً -وهذه مثالية-، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:46].

وقال رسول الله ﷺ: **«أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصّلاة وَالصَّدَقَةِ؟!»** قَالُوا بَلَى. قَالَ: **«صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»**[2].

لكنه في الوقت نفسه يؤدب أتباعه بأدب الخصومة فيما لو وقع بينهم صدام أو خصام -وهذه واقعية-، فما هي آداب الخصومة في الإسلام؟!

---

[1] () أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/367].

[2] () أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/663].

- **آداب الخصومة في الإسلام خمسة:**

– <u>الأدب الأول: مراقبة الله تعالى في الخصومة.</u>

لأن الله تعالى مطَّلع على الخصوم، وستُعاد الخصومة أمامه يوم القيامة، روى الترمذي عن الزبير ﷺ قال: (لما نزلت: ﴿ثمّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:31]، قال الزبير: يا رسول الله، أتكرَّر علينا الخصومة، بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: **«نعم»**، قال: إن الأمر إذاً لشديد)[3].

ويقول الله تعالى: ﴿ثمّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:31]. أورد السيوطي في تفسيرها: (يؤخذ للمظلوم من الظالم، وللمملوك من المالك، وللضعيف من الشديد، وللجمَّاء من القرناء، حتى يؤدَّى إلى كلِّ ذي حقٍ حقّه)[4].

– <u>الأدب الثاني: الاحتكام في الخصومة للشرع.</u>

والنزول على قول الشارع الحكيم، قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثمّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

تشارك شابان في تجارة أجهزة، وقع بينهما خصومة أودت بهما إلى حلِّ الشركة، تقاسما المال وما بقي من البضاعة، وبقيت بقيةٌ من مالٍ وأجهزة، واختلفا لمن الحق فيها، فأرادا الاحتكام للشرع.

ذهبا إلى واحدٍ من الشيوخ يثقان به، وطلب الشيخ أن يكون معه تاجر محكِّم آخر مختص بهذا النوع من التجارات.

يقول الشيخ: إن مما أثلج صدري أن كلَّ واحدٍ قال له على انفراد: نريد حكم الشرع في المسألة ومهما حكم الشرع لي أو عليّ فأنا نازلٌ على حكمه.

---

[3]() أخرجه الترمذي في "جامعه" [5/370].

[4]() الدر المنثور للسيوطي [3/228].

هذا تفسير عملي لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

ظنَّ الشيخ أن كلامهما مجاملةٌ، لكن لما بيّن لهما مع المُحَكَّم الآخر حكمهما في المسألة:

يأخذ أحدهما الأجهزة ويترتب عليه دفع مبلغٍ مالي قارب الخمسمائة ألف ليرة سورية، فوجئ بسرعة امتثالهما للحكم، قام الشاب إلى غرفةٍ مجاورة في بيته ليعود ومعه الخمسمائة الألف ليؤديها لشريكه القديم.

دعا الشيخ والحكم للطرفين، وأثنيا عليهما وشكرا لهما امتثالهما للحكم، وانتهت الخصومة... لكنك مهما امتثلتَ أمرَ الله فإن الله سيكافئك، ومهما أطعتَه سيثيبك.

بعد شهرٍ يتصل هذا الشاب الذي دفع المبلغ، ليقول للشيخ إن الله تعالى عوَّضني عن ذلك المبلغ أضعافه مرات ومرات، فقد كان عندي عقار معروضٌ للبيع في حيٍ راقٍ في المدينة، لكنه كان جامداً لا يتحرك، جاءني مشتر ودفع لي فوق ما كنت أطلبه ثلاثة ملايين، وبعتُه العقار! ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[النحل:30].

وعكس هذه الصورة: شاب حَدَث له ولأبيه خصومة في السوق التجاري مع جيرانهم التجار، استطاع الأب بحيلة أن ينال حقاً يظهر أنه ليس له، فراجع الابنُ عالماً من العلماء يثق بدينه وعلمه، وعاد إلى أبيه ليقول له: أخبَرَني الشيخ يا أبي أن هذا لا يحلُّ لنا في الشرع.

فقال له الأب: وما علاقة الشرع بالسوق التجارية، وما الذي حَمَلَك على أن تسّأل شيخاً عن قضية تجارية، كان عليك أن تسأل التجار لا الشيوخ. ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثمّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مَمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65].

– <u>الأدب الثالث: الاعتدال في الخصومة وعدم الإغراق بها، واتركْ للصلح موضعاً.</u>

عن علي ﷺ قال: **«أحبِب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما، وأبغِض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»**[5].

---

[5]() أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/360].

قال رسول الله ﷺ: **«كفى بك إثمّاً ألا تزال مخاصماً»**[6].

قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أبغض الرِّجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم»**[7]، أي: شديد الخصومة.

وقديماً قالوا: صلحٌ خاسر خيرٌ من قضية رابحة، وحدَّث أحد أساتذة الحقوق عن واحدٍ من القضاة أنه يوجد في القصر العدلي الآن خصومات يترافع عنها وَرَثَةُ الورثة!!

قيل لأبي سفيان رضي الله عنه: ما بلغ بك من الشرف؟ قال: (ما خاصمتُ رجلاً إلا جعلتُ للصلح موضعاً).

وقال ابن شُبرمة -القاضي الفقيه-: من بالَغَ في الخصومة أَثِمّ.

وقال سيّدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: (من كَثُرَت خصومته لم يسلَم دينه).

وقالوا في صفات الأحمق إنه كثير الخصومة، وقال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:58].

- <u>الأدب الرابع: لا تأخذ في الخصومة غير حقِّك، ولو حَكَمَ به مَنْ حَكَم.</u>

فلعلك تقع على محامٍ نِحرير يجلب لك من خصمك حقَّك وزيادة، فخُذ حقَّك ورُدَّ الزيادة، ولعل خصومتك تصل إلى قاضٍ بينك وبينه صلة، فتأخذهُ صلةُ القرابة أو الصحبة فيحكمُ لك بحقِّكَ ويزيدك، فخذ حقَّك ودَع الزيادة.

ولعلك ترفع ظُلامتك لشيخ الشيوخ وأتقى الأتقياء فيحكمُ لك، وأنت تعلم علم اليقين أن الأمر عليك لا لك، وأن العالم حَكَم لك على نحو ما سمع، وقد أخفيت عنه أموراً وأبديت له أخرى، فلا تأخذ إلا حقَّك ولا تتوانى أن تؤدِّي لخصمك حقه، ولا تقل: هكذا حَكَمَ لي القاضي أو الشيخ الفلاني، فإنَّ ذلك لا يعذرك أمام الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:188].

---

[6]() أخرجه الترمذي في "جامعه" [4/359].

[7]() أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (2457)، ومسلم في "صحيحه" رقم (2668).

قال ابن كثير في "تفسيره": (دلَّت هذه الآية وهذا الحديث على أنَّ حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر، فلا يُحلُّ في نفس الأمر حراماً هو حرام، ولا يحرِّم حلالاً وهو حلال...، وإنّ للحاكم أجره وعلى المحتال وزرُه)[8].

قال قتادة: (اعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يُحلُّ لك حراماً، ولا يُحقُّ لك باطلاً... واعلموا أن من قُضيَ له بباطلٍ في خصومته لم تنقضِ حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق بأجودَ مما قُضيَ به للمبطل على المحق في الدنيا).

قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّار»**[9].

وللحديث سبب عند الإمام أحمد: ففيه أن رجلين جاءا يختصمان إلى النَّبي ﷺ في مواريث بينهما قد دَرَسَت، ليس عندهما بينة، فقال ﷺ: **«إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعلّ بعضكم يكون ألْحَنَ بحجّته من بعض، فأقضي نحو ما أسمع، فَمَنْ قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعةً من النَّار»**، فبكى الرجلان وقال كلٌّ منهما: حقي لأخي، فقال ﷺ: **«أما إذا قلتما، فاذهبا فاقتسما، ثمّ توخَّيا الحق، ثمّ استهما، ثمّ ليُحَلِّل كلُّ واحدٍ منكما صاحبه»**[10].

– <u>الأدب الخامس: ضبط اللسان في الخصومة وفق الشرع.</u>

فما أكثر ما يقع الخصوم في أعراض بعضهم، وفي تنقيص بعضهم، وفي سبٍّ وفُحشٍ وبذاء وفجور..!! قال رسول الله ﷺ: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**[11]، فَجَر: أي انبعث في المعاصي والمحارم.

هذه هي آدابٌ خمسةٌ للخصومة في الإسلام:

1) مراقبة الله تعالى في الخصومة.
2) الاحتكام في الخصومة للشرع.

---

[8]() تفسير ابن كثير [1/521].

[9]() أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (6967)، ومسلم في "صحيحه" رقم (1713)، وغيرهما.

[10]() أخرجه أحمد في "مسنده" [6/320].

[11]() أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (34).

3) الاعتدال في الخصومة وعدم الإغراق بها.
4) لا تأخذ في الخصومة غير حقك.
5) ضبط اللسان في الخصومة وفق الشرع.

ألقاكم في حلقة قادمة بإذن الله من برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، إلى ذلك الحين دمتم برعاية الله، أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته